ملامح الحضارة العمرانية في شعر السَّريّ الرَّفَّاء (ت ٣٦٢هـ/٩٧٧م)

أ.م.د.ساهرة محمود الحبيطي
قسم اللغة العربية
كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢/١٠/٢٠١١ ؛ تاريخ قبول النشر: ١/١٢/٢٠١١

ملخص البحث:

تهدف الدراسة المقتضبة إلى الكشف عن الأبعاد الموضوعية للحضارة العمرانية في المجتمع العباسي عند الشاعر الموصلي السَّريّ الرَّفَّاء وتطمح إلى محاولة رصد المضامين والخروج بنظرة كلية تحدد مدى عمق ذلك عند شاعر من كبار شعراء العصر العباسي وكان المنهج المعتمد في الدراسة قائما على انتقاء أبيات من الديوان واعتماد العرض والتحليل والمزاوجة بين الجوانب الموضوعية والخصائص الفنية في آن واحد ولغرض متابعة تلك الموضوعية وإيحاءات الشاعر ارتأينا جعل البحث قائما على وفق المباحث الآتية يسبقها تمهيد يضم حديثا عن الحضارة والعمران العباسي إذ اهتم الخلفاء ببناء القصور والمقاصير والبرك وملحقاتها والقلاع والأديرة والجسور وغيرها، وقد لفت انتباه الشعراء تقدم العمران وتطور الحياة عما كانت عليه في العصور السابقة إذ وقفوا على تلك الحضارة وبدائع الفنون فأبدعوا في تصويرها خياليا وحسيا ولاسيما عند شاعرنا بما امتاز به وصفه من دقة العبارة وجمال الأسلوب وتداخل بين ذات الشاعر والموضوع المتحدث عنه، فكان الشاعر قريبا مكانيا ووجدانيا من تلك الحضارة في مدينة الموصل – مسقط رأسه – ومدينة حلب عاصمة إمارة بني حمدان والمعالم الأخرى. كما يكشف البحث عن طبيعة التصوير لذلك كان وصفا ظاهريا خارجيا أم تعدى ذلك إلى وصف داخل العمران وما كان على جدرانه وسقوفه من زخارف ونقوش وفنون أخرى، وما وصفه لذلك إلا دليلٌ على ما يكنُّهُ من حب وإخلاص لوطنه لأن تلك الملامح الموصوفة كانت رمزا للعز والمجد العربي الإسلامي أمَّا المبحث الأول فتضمَّن حديثا عن وصف القصور وملحقاتها إذ تفنن الخلفاء في بنائها وزخرفتها وقد سعى الشاعر إلى تأطير المكان جغرافيا والكشف عن أبعاد تلك المدنية والحضارة وتأثيرها في نفس مشاهديها، أما المبحث الثاني فتضمن وصف الحرَّاقات أو السفن والعربات إذ جاء الوصف جديدا أسوة ببقية شعراء العصر فلم يكتف بوصف الألواح والمسامير المستخدمة في الصنع بل وصفها عندما كانت صورتها على هيئة العقاب أو الدولفين أما العربات فقد جاء وصفها على شكل

(دُهُم سود) فهي كالخيل تتسابق في حركتها فوق الماء فتثير حبابا أبيض كأنه نقع كافور. أما المبحث الثالث فتضمن وصف (الأديرة) ولم يقتصر الوصف على ذكر البناء والموقع بل ذكر أنها كانت مقصد الشعراء يستمتعون بمناظرها ورياضها النضرة وخمورها المعتقة من قبل القساوسة لكي تدر عليهم رزقا كبيرا ولعل أشهر الأديرة التي وصفها الشاعر هما (دير الأعلى) بالموصل والدير الشرقي وجاء وصفه تصويرا لما يجري في داخلهما من شراب ومقصف ومنادمة وغيرها. أما المبحث الرابع فقد ضم أوصافا أخرى مثل أوصاف القلاع والقباب المرتفعة الشامخة والمشرفة على النجوم كما إنه صورها لامعة وهذا ما أبدع فيه واشتهر به ولاسيما في أوصافه للقلاع التي بناها سيف الدولة الحمداني ووصف الشاعر بئرا كان قد حفرها في داره بالموصل وبَيَّن فرحه وسروره بهذه النعمة المدفونة في الأرض بحيث لو أعطاها حقها لأحاطها باللؤلؤ الثمين كما وصف الشاعر جسرا واحدا لم يذكر في ديوانه إلا مقطوعة يتيمة تقع في بيتين وقد شبه الجسر والسفن التي تسير تحته مع الظلال بالثوب المطرز بخطوطه السود، كما وصف مظاهر العمران التي تخص عامة الناس إذ خالط الشاعر الناس بحيث أثر محيطهم الحضاري على نتاجه الشعري وبدا واضحا جليا في شعره، فوصف الأدوات الحضارية على أيامه أمثال الحمّامات، وجاء وصفه حسيا إذ صور ما موجود من زخارف ونقوش على سقوفها وجدرانها كما صور بصريا ما تتركه من آثار على نفسية الناس من صحة وراحة كما وقف على تصوير النار والكوانين في فصل الشتاء ومدى فوائدها، كما وصف الشاعر خزانة كتبه في المنزل. ومن الجدير بالذكر أن أفانين البلاغة كانت متناثرة داخل النصوص المختارة وقد أشرنا إليها من خلال التحليل ضمن الأبيات الشعرية، لعل الدراسة تحقق هدفها المنشود. أما أهم المصادر المعتمدة فهي الديوان، تحقيق ودراسة: د.حبيب حسين الحسني، وكتاب يتيمة الدهر للثعالبي، وكتاب تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين للدكتور مصطفى الشعكة، وكتب أخرى في هوامش البحث. لكن تلك المصادر لم تتحدث عن العمران بالتفصيل أو التحليل وإنما اقتصرت على ذكر الأبيات فقط وهذا ما تطلب مني الوقوف على الأبيات بتمحص وتركيز واستنباط التحليل الأدبي والمضامين الفنية.

Signs of urban civilization in the poetry of AL-Sarai AL-Rafaa (died 363-A.H./ 977 A.D)

Lect. Dr. Sahira Mahmood Al-Hubaiti
Department of Department of Arabic Language
College of Basic Education / Mosul University

Abstract:

This paper aims at investigating the objective dimensions of urban civilization at the Abssid society for the Mosulian poem AL-Sarai AL-Rafaa, to shed light on them and to extract an integrated look that defines the depth of these dimensions for one of the important poems of Abassid era. The method followed in this study focused on choosing som of his poets, study, analyze and comparing objective aspects and artistic features. In order to keep the objectivity and muses of the poet , the research consisted of the following parts presented by an introduction about Abassid civilization and urbanism . The caliphs paid a lot of attention to build mansions , pool and their accessories, castes, churches, bridges, etc….poems attention was caught by urbanism and life development than it was befor they were the contemporaries of this civilization and masterpieces.

التمهيد:

نريد بالحضارة ما تبلغ إليه الدولة من الثروة وبسطة العيش والتوسع في أسباب الترف والرغد في أرقى درجات عمرانها وقد أدركت الدولة الإسلامية تلك الدرجات في عصورها، وأسباب الحضارة تشمل أولا: العمارة أي إنشاء المدن وبناء القصور، والثاني الثروة وبها يتم ما يقتضيه الترف في الانغماس في النعيم والرخاء(١) أما بالنسبة للعمران فقد كان للعرب قبل الإسلام اتصال بالعمران السائد يومئذ فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار ازداد هذا الاتصال وتنظم وكان له بعد ذلك آثاره المعروفة ، بيد أن الروح الدينية في فجر الإسلام كانت قوية جدا فوقفت بهم قليلا عن الأخذ بأسباب الرخاء الحضاري، ولاسيما على أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقد استأذنه المسلمون في بناء الكوفة بالحجارة على أثر الحريق في القصب الذي بنوه من قبل، فقال: افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطالوا في البنيان والتزموا السنة(٢) لكن فيما بعد أخذوا يتساهلون في ذلك فقد ذكر المسعودي: أن الصحابة اقتنوا الضياع والمال وابتنوا الدور ذات الشرفات(٣).

واستمر الحال إلى العصر الأموي فقد تطور العمران، فبنيت الدور وانشئت دور التعليم ودور الغناء وتوسعوا كثيرا في ذلك، وبقي الأمر كذلك حتى قام العباسيون فانصرفوا إلى التأنق في الفنون الحضرية ويدخل تحتها تشييد المنازل ونسج الثياب وبناء القصور والبرك

وملحقاتها التي كان يبنيها الملوك والأمراء في الحواضر الكبرى(٤) مما يعكسه لنا الشعر العربي في ذلك كما سنرى عند الشعراء العباسيين، ومنهم شاعرنا السَّريّ الرَّفَّاء الذي عاش في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي تميز بالحضارة الإسلامية ففيه أخذ المسلمون بأسباب الترف والنعيم ووجدوا ألوان الحضارة في كل خطوة من خطواتهم ونهجوا على عادات وأعراف جديدة من الفخامة والبذخ وشاركت الإمارات الإسلامية في ذلك القرن وشاركت في مظاهر الحياة الاجتماعية العامة والخاصة التي سار عليها المسلمون في تلك الحقبة من الزمان، فألف الناس اللهو داخل البيوت والقصور التي فرشت بالأثاث وأضيئت المقاصير والشموع وولع الناس بمجالس النار والفحم وتفننوا في (الكوانين) التي يشعلون فيها نيرانهم استجلابا للدفء واتقاء البرد إلى غير ذلك من ألوان الحضارة الاجتماعية(٥).

أما بالنسبة لدراسة هذه الجوانب فقد أغفلت بعض كتب التاريخ والأدب هذا العمران فلم تشر إلى ما فيه من عجائب وغرائب ذكرها الشعراء من خلال وصفهم إياه، وقد شغف شاعرنا بوصف ذلك العمران الذي صنعته الحضارة العباسية هالته دقة البناء وجمال الزخرفة فيه. إذ وصف شاعرنا هذه العمائر من خلال مزجه بين الوصف الحسي والوصف الخيالي، واستخدم الشاعر التصوير البصري في أكثر أوصافه فضلا على اعتماده على التشبيهات التي افتتن بها، وكذلك تناول الصور البلاغية الأخرى التي تناثرت في طيات البحث.

المحور الأول
وصف القصور وملحقاتها

وصف الشعراء عددا من القصور في قصائدهم وكان معظمها يتعلق بالخلفاء والأمراء، ونلاحظ أن وصفهم لهذا العمران جاء ظاهريا في أكثر الأحيان دون التغلغل إلى داخلها ووصف ما فيها من معطيات حضارية من زخارف ونقوش وصور إلا نادر، إذ إنّ جميع الشعراء يصفون القصور بكونها عالية ذاهبة في أجواء الفضاء، يهتدي إليها الساري في الليلة الظلماء، وسقوفها مطلية بالرخام، وقد لحق بعضها برك مزينة بالتماثيل والصور.

وعلى الرغم من كثرة الشعراء الذين كانوا يترددون على خلفاء وأمراء بني العباس، فإن السَّريّ الرَّفَّاء كان واحدا منهم وصَّافا لهذه القصور حيث وصف عددا من قصور ممدوحيه وكان معظمها في إمارة بني حمدان منها:

ـ قصر الأمير الغضنفر بن ناصر الدولة الحمداني والي الموصل:

وصف السَّريّ الرَّفَّاء قصورا ولا سيما قصور ممدوحيه وقد وردت الاوصاف متناثرة في ثنيات قصائد المديح إذ لم يفرد لها قصائد مستقلة فمما قاله في قصر الامير أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحمداني في الموصل، إذ وصف قصره وبستانه يتوسطه دولاب

يرفع الماء فيسقي الزروع، وهو المولع بالطبيعة وما فيها، إذ يفتن في تشبيهاته ويبدع فهي لا تقل ولا تقصر عن تشبيهات واوصاف البحتري لقصور المتوكل بل ربما تزيد عليها(٦).

فقد بدأ القصيدة مباشرة في وصف القصر وما يحيط به من جنان تبتسم إذْ أجاد في إضفاء عنصر التشخيص وبث الحياة، كذلك صور الماء المنسكب من سواقٍ تشق الخضرة، فتظهر بيضاء كالسيوف ومن دولاب كثير الأنين كأنما هو إنسان مغترب يحن إلى وطنه، وهو يطلب الماء:

أنشأتَه مَنْزِلاً في قَلبِ دِجْلَةَ لا ... تَمتاحُ جَنَّتُه الغُدرانَ والقُلُبا

صفا الهواءُ به والماءُ فاشْتَبَها ... كأنَّ بينَهُما من رِقَّةٍ نَسَبا

فَمِن جِنَانٍ تُريكَ النُّورَ مُبْتَسِماً ... في غَيرِ إبّانِهِ والماء مُنسكِبَا

كأنَّ دُولابَها إذْ حَنَّ مُغْتَرِبٌ ... ناءٍ يَحِنُّ إلى أَوطانِهِ طَرَبا

باكٍ إذا عَقَّ زهرَ الرَّوضِ والِدُه ... مِنَ الغَمامِ غَدا فيهِ أباً حَدِبَا(٧)

برع الشاعر في هذا التصوير إذا أسبغ عليه كل ما يملك من خيال (إذ كان شاعرا مطبوعا عذب الالفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان بالتشبيهات ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر)(٨).

إذ جاء وصفه لا يختلف كثيرا عن وصف القصور لدى الشعراء الآخرين حيث وصف قصورا في مدينة حلب عاصمة الحمدانيين، ووصف قصورا في مدينة الموصل التي كانت تابعة لحكم الحمدانيين رسميا.

وقد اشتاق السَّريّ الرَّفَّاء إلى الموصل وحن إليها حنينا جارفا ومن شدة حبه للموصل نراه لم يفتن بحلب كما فتن غيره من الشعراء، لقد كثر اشتياقه إليها وهو مقيم بحلب فقال يصفها ذاكرا أهم ملامحها الحضارية العمرانية من مواضع وابنية وقصور بشعور متدفق وإحساس حار(٩). فهو يقول:

أَمَحِلَّ صَبْوتِنا دُعاءَ مَشُوقٍ ... يَرتاحُ مِنكِ إلى الهَوَى المَوْمُوقِ

هلْ أَطرُفَنَّ العُمرَ بينَ عِصَابَةٍ ... سَلَكُوا إلى اللَّذاتِ كُلَّ طَرِيقِ؟

أمْ هلْ أَرَى القَصْرَ المُنيفَ مُعَمَّماً ... بِرداءِ غَيْمٍ كالرِّداءِ رَقِيقِ؟

وقَلالِيَ الدَّيرِ الّتي لولا النَّوَى ... لمْ أَرْمِها بِقِلًى ولا بِعُقُوقِ(١٠)

ويسترسل الشاعر في وصفه وذكر شوقه الجارف وحنينه الشديد إلى مرتع صباه، متمنيا أن يرى الموصل وقصورها وقبابها وصوامعها، واصفا أبنيتها وجدرانها الحمر كأنها قد بنيت بالعبير والطِّيب ذاكرا أيامه الجميلة فيها، إذ يقول:

فَمَتى أَزورُ قِبابَ مُشرِفَةِ الذُّرَا ... فأَرودُ بيْنَ النَّسْرِ والعَيُّوق

وَأَرى الصَّوامِعَ في غَوارِبِ أكْمِها ... مِثْلَ الهَوادِج في غَوارِبِ نُوق

حُمْراً تلوحُ خِلالَها بِيضٌ كما ... فَصَّلْتَ بالكَافُورِ سِمْطَ عَقِيق(١١)

مما مضى نجد أن الشاعر ينقل لنا أحاسيسه وما يدور في خلده من حنين، يدل على شدة وفائه لمسقط رأسه، حيث القصور الشامخة والأديرة المبنية بمختلف الآخر فلا غرو أن تأتي قصائده فياضة بوصف حضارة الموصل وعمائرها كما كان يلمسه ويراه عن كثب بين نواحيها، فهو دائما يتذكرها ويحن إليها فضلا عن تزيين أبياته بألوان البيان من التشبيهات التي أغرم بها كما رأينا في البيت السابق:

وَأَرى الصَّوامِعَ في غَوارِبِ أكْمِها ... مِثْلَ الهَوادِج في غَوارِبِ نُوق

نقع في هذا البيت على تشبيه جميل، حتى أن الثعالبي قال عنه: (استأنفت من حسن التشبيه وبراعته وفصاحته)(١٢).

ويستمر الشاعر برسم الصور الجميلة للعمران في قصور الموصل، إذ يصفها بأنها ذات ارتفاع شاهق جعلها تلامس النجوم كما ذكر اصفرار الشمس وكأنه تاج ذهبي يعلو ذراهاثم وصف جنات تلك القصور وحدائقها التي تفوح منها الروائح الزكية إذ قال في إحدى قصائده:

قُصورٌ حَلَّقتْ في الجَوِّ حتَّى ... لَقَصَّرَتِ الكَواكِبُ عنْ مَداها

مُشَرِّفَةٌ كأنَّ بَناتَ نَعْشٍ ... تُناجِيها إذا خَفَقَتْ شِفَاهَا

يُتَوِّجُها اصْفِرارُ الشَّمْسِ تِبْراً ... فتُمْسِي وهيَ مُذْهَبَةٌ ذُرَاهَا

وَجَناتٍ يُحَيِّي الشَّرْبَ وَهْناً ... حَتَّى وَهَداتِها وجَنَى رُباها(١٣)

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير ما يحيط بالقصر من الأثر الحضاري فيذكر أن الأزهار المنتشرة في الحدائق مختلفة ومتنوعة منها القرنفل والخزامى والشقائق والياسمين وهذا يزيدها خضرة وجمالا كما إن هذه الأزهار تعانق بعضها بعضا بسبب الرياح التي يختلط عرفها وشذاها وأن الريح إذا مرت بأشجار الحدائق جعلتها تتمايل كالغيد الحسان في قوله:

تُعانِقُ رِيحُها لِمَمَ الخُزَامَى ... وأعناقَ القَرنفُلِ في سُرَاها

ويأْبى زَهْـــــرُهَــــــا إلا هُجُوعــاً وَيـــأْبى عَــرْفُــــها إلا انــتِـــباها
ذَوَتْ أشــــجَارُها الغِيـــدُ اللّـــواتي إذا عَبِــثَ النَّــسيــمُ بِهـــا ثَنَاهـــا(١٤)

ـ قصر أبي محمد الفياضي كاتب سيف الدولة[١٥]:

لقد أجاد الشاعر وأبدع في وصف بعض ملامح العمران عند الحمدانيين الذي بلــغ حــد الروعة جمالا وفنا، وشارفت الذروة سحرا وفتنة، ومما لا شك فيه أن هذه القصور بما حوت من تحف ثمينة، ومناظر رائعة، وبساتين ناضرة كانت مصدر خير وبركة لخيال الشعراء فهذا الشاعر يصف قصرا في حلب قد بناه كاتب الأمير(١٦)، فيصفه الرفاء بقصيدة طويلة، منها:

وَدارٌ شُــيِّـــــدتْ بِعَظيـــــمِ قَـــــدْرٍ يُهِيــنُ كرائِــــــمَ النَّشــبِ العَظِــيمِ
تَقَاصَــرتِ القُــصُــورُ لهـــا فأَضْــحَتْ وقــــدْ ظُلْــنَ الكَواكِبَ كالرُّسُـــومِ

....

يَبيـــتُ البَــــرقُ يُـــــذْكِرُني خِيامـــاً ضُرِبْــنَ بِها على كَـــرَمٍ وخِيْــــمِ
وسَـــــاجِيَةِ الظِّـــلالِ مُقَــــرَّطَــــاتٍ ظُروفَ الـــرَّاحِ مــنْ زِنْــجٍ وَرُومِ
وهلْ يَشْـــــتَــاقُ ظِلُّ الكَــــرْمِ عافٍ ثَنَى عِطْفَهِ فــي ظِـــلِّ الكَــريمِ(١٧)

ـ قصر أبي الحسن باروخ بن عبد الله:

ويصور الشاعر قصر الوزير المهلبي من خلال قصيدة المديح إذ نجد القــصيدة تنتقــل بصورة عفوية من المدح إلى الوصف، ويكون حظ المدح منها قليلا، وها هو يصف القــصر وما فيه من نخيل وكرم وأشجار ودولاب يسترفد الماء من تيار دجلة وما تحيط بالقصر مــن سواق وجداول وما فيه من أسماك أو طيور جميلة مغردة، ثم يصف القصر ويبالغ في ارتفاعه وشموخه الذي يناطح الغيم حتى لقد تجلبب به ويشبه شرفاته بسبائك الفضة اللماعة(١٨):

حبيــتَ علــى رَغْــمِ الحَـسُـودِ بِجنَّـــةٍ حَبَتــك بِأَنـــواع الثِـمــــارِ الأَطايــبِ
ميــادِيـــــنُ ريْحَـــانٍ كــأَنَّ نــسِـيــمَهُ نَســـــــيـــمُ الهَوَى أَيامَ وصْلِ الحَبائِبِ
كـــأَنَّ سَـــواقِيـــهِ سَـــلاسِلُ فـضَّةٍ إذا اطَّـــردَتْ بيــنَ الصَّبا والجَنائِـــبِ
ومـــُمتَنِعٍ جِلبابُـهُ الغَـيْمُ فــي الـضُّحَا وحِلْيــتُهُ في اللَّيــلِ زُهــرُ الكَواكـــبِ

أَضـــــاءَ فلـــو أنَّ النُّجــــومَ تَحيَّـــرتْ ضَـــلالاً هَـــــدَاهـــــا سُـبْـــــلَها فـــي الغَيـــــــــــــــــــــــــــاهِب

لــــه شُـــرُفاتٌ كالوَذَائِـــــلِ أشْـــــرَفَتْ عَلى نازِحِ الأَقطَـارِ نــائِي المَنَاكِــبِ(١٩)

ويسترسل الشاعر في وصف ما يحيط بالقصر من الروض والجو الجميل فـي يـوم ظهر فيه قوس قزح:

وَصـــــاحِبٍ يـقْــــــدَحُ لـــــي نَـــــــارَ الـــــسُّرورِ بالقَـــــــدَحْ

فـــي رَوْضَـــــةٍ قـــدْ لبِـــسَـتْ مــــنْ لُؤْلُـــؤِ الطَّـــلِ سُـــبَحْ

يأْلَـفُـــنِــــــــــي حَمامُهــــــا مُــغْــتَــبِـقــــاً ومُـصْـطَبِحْ

والجَـــــوُّ فـــــي مُمَـــــسَّـكٍ طِـــــرازُهُ قَـــــوْسُ قُـــــــزَحْ

يبكـــــي بــــلا حُــــزْنٍ كَمــــا يَــــضْحَكُ مــــنْ غيـــرِ فَـــرَحْ(٢٠)

فقد أتى الشاعر بالجناسِ المشتقِّ بين الفعل والاسم (يقدح والقــدح) وكــذلك نجــد أن الطباق ورد بكثرة في الأبيات دالا على قدرة الشاعر الفنية وتمكنه في هذا اللون من الـصنعة التي جاءت مبثوثة في هذه الأبيات فقد طابق إيجابا بين لفظتي (مغتبقا) و(مصطبح)، كما ورد طباق المقابلة بين (يبكي بلا حزن) و(يضحك من غير فرح) فضلا عن ذلك فقد أجاد الشاعر في رسم صورة استعارية جميلة في البيت الأخير، فقد بث الحياة في هذا القصر وبـرع فـي إحياء عنصر التشخيص فجعله باكيا بلا حزن مرة وجعله ضاحكا من دون فرح مرة أخـرى على سبيل الاستعارة التصريحية.

وعلى الشاكلة نفسها يصف لنا الشاعر ما هو قريب من القصور فقد ذكر مجلسا للشراب مع أصحابه بالقفص(٢١)، إذ أقاموا نهارهم يديرون الكؤوس شعلا يلهبها الماء، ويزول برشفها الظمأ، وبين أيديهم أسد نظم من الورد(٢٢)، فقال السري بديها:

رُبَّ أَيَّـــامٍ علـــى القُفْـــصِ لَنَـــا لا نَرَى أَمثـالَهـا طُـــولَ الأَبَــدْ

غيـــضَةُ رَيْحَاننـــا الغَـــض بِهـــا أَسَـــدُ مِـــــنْ غَابَةِ الـوَرْدِ وَرَدْ

مـــا رأَى النَّـــاسُ شُـــرُوباً مِثْلَنـــا شَـــرِبُوا الرَّاحَ على وَجْهِ الأَسَدْ(٢٣)

فقد ورد الجناس التام في البيت الثاني بين لفظتي (الوَرْد ووَرَدْ). ويسترسل الشاعر في عرض أوصافه الحسية، فقد أبدع في عرض الصور بوصف (الشموع) التي تضيء القصور والمقاصير، والنار التي تمنحهم الدفء في الشتاء القارس البارد وكذلك وصف الكانون الذي كانت توقد فيه النيران. وغير ذلك من الأشياء التي تمت إلى الحياة ومظاهر العمران قريب أو بعيد.

ـ وصف البرك والنافورات (الفوّارات):

وطبيعي لمن يصف القصر أن يعرِّجَ على مواطن الفتنة والجمال فيه وكانت البرك التي تنشأ في حدائق القصور موطنا من مواطن الجمال لما كان يراعى في بنائها من الروعة والبذخ إذ تتصل فيها الفوارات التي تفننوا في صنعها وتزيينها بالصور البديعة والتماثيل.

وقد تحدث السَّري الرفاء عن البرك في ثنيات قصائده بأبيات معدودة، ولعله كان مقلدا لمظاهر العمران فقد سبقه البحتري شاعر الرقة والجمال في وصف بركة الخليفة المتوكل بقصيدة وردت مبثوثة في كتب الادب(٢٤)

فقد وصف بركة في قصر الوزير المهلبي من قصيدة يذكر فيها إذ وردت الأبيات التي يصور فيها الشاعر (الرفاء) البركة بأنها كانت مرتعا للأسماك وطير الماء فكان يسكن صفحتها آمنا مطمئنا لا يعكر صفوه إنسان ولا يطارده صياد ولا يفترسه نسر أو صقر، فكان رتاع هذه الأسراب في هدوء وأمان وانتظامها على صفحات الماء في تشكيلاتها البديعة وحيا للشعراء، وقد شبهها الشاعر لاختلاف ألوانها بالخمائل التي حوت أنواعا من الزهر الملون البهيج، كما في قوله:

وآمنَةٍ لا الوَحْشُ يَذْعَرُ سربِها ... ولا الطَّيرُ مِنها دَامِياتِ المَخَالِب

هِيَ الرَّوضُ لم تُنْشِ الخَمائِلُ زَهَرُه ... ولا اخضَلَّ عنْ دَمْعٍ منَ المُزْنِ ساكِبِ

إذا انبعَثَتْ بينَ الملاعب خِلْتَها ... زَرَابِيّ كِسْرَى بثَّها في المَلاعِبِ(٢٥)

كما يسترسل الشاعر في هذا النمط من الوصف فقد خلب لب (السري) بعد ذلك ما في قصر الأمير (أبي الغضنفر) من بركة ماء موشاة بالأوز الأبيض، وقد امتلأت به فبدا كالزهر العائم فوقها وما اشتملت عليه من فوّارة ترفع الماء إلى السماء حتى ليعانق نجم (العَيُّوق) على الرغم من الريح الشمالية المعاكسة(٢٦). فلا تثنها عنها. إذ يقول:

وبِركَةٍ ليسَ يُخفي مَوجُ لُجَّتِها ... من القَذَى ما طَفَا فيها وما رَسَبا

تُسْدي عَلَيها الصَّبا بُرْداً فإنْ رَكَدَتْ ... رأيتَه دارِسَ الأَفوافِ مُستَلَبا

قَـــــد كُلِّـــلَت بنجـــومٍ للحَبَـــابِ ضُـــحاً فـــإنْ دَجَـــا الليـــلُ عـــادَتْ أنجُمـــاً شُـــهُبا

تَـــــرى الإوزَّ سُـــــروبا فـــي ملاعِبِهـــا كمـــا تَأَمَّلـــتَ فـــي دِيـــباجِها لُـــعَـــبَا

يَـــرِفُّ منـــه علـــى أمـــواجهـــا زَهَـــرٌ أربى علـــى الزَهْـــرِ حتـــى عـــادَ مكتَئِبـــا

وسَهْـــمِ فـــوَّارةٍ ما ارتَـــــدَّ رائِـــــدُه حتـــى أصـــابَ مـــن العَيُّـــوق مـــا طَلَبـــا

كـــــأنَّ بِـــرْكَتَـــــهُ دِرْعٌ مـــضاعَـــفَةٌ تُـــقِـــلُّ رُمْحَ لُجَيْـــنٍ منـــه مُنْتَـــصِبا(٢٧)

وقد برع في التشبيه فقد صور (سروب الأوز) التي تعوم في أرجاء البركـــة وشـــبهها لكثرتها بالزهر العائم فوق سطحها ويستغل شاعرنا موهبته في الوصف والتشبيه، فنلقاه يصف بركة (الوزير المهلبي) إذ كان محبا للزهور يشتريها، ويطرحها ببركة ماء في داره وكان في هذه البركة فوارات ماء عجيبة، وقد وصفها شاعرنا في ليلة شرب فيها(٢٨):

فـــضلَّتْ ليـــالي الوَصْـــفِ ليلتـــكَ التـــي هـــيَ فـــي المحاسِـــنِ غـــادةٌ حـــسناءُ

بِـــــرَكٌ تحلَّـــت بِـــالكواكـــــبِ أرضـــها فأرتـــك وجـــــه الأرض وهـــو ســـــماء

رفعـــت إلـــى الجـــــوزاء فـــــوَّاراتها عمـــــدا فـــصاب بـــصوبها الجـــوزاء

كـــــادت تـــــرد علـــى الحـــيِّ أعطافـــه لـــو لـــم يحـــل اعطافـــهـــــن حيـــاء(٢٩)

وقد أجاد الشاعر في تصويرِ الفوَّاراتِ بكونها شامخة في الـسماء بحيـث تـصل إلـى الكواكب في ارتفاعها وشموخها قد تزينت أرضها بالكواكب، من خلال الابيات الـسابقة نقـع على هذا الوصف الجميل لملامح الحضارة، فقد وصف مجلسا اتخذه الحسن بن محمد المهلبي وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات ماء ركزت حولها رماح علق عليها شمع فكون ذلك منظرا حسنا(٣٠).

احتوت الأبيات على الجمال الفني والصور الشعرية النادرة المثـال، فالـشاعر يمتـاز بمقدرته على الوصف وسعة خياله وملكته التصويرية العظيمة، فنعت ليلته التي قـضاها فـي الشرب واللهو بأنها خير الليالي وقد جاءت مليئة باللذات إذ شرب المهلبي فيهـا علـى بـرك بديعة الصنع تعكس مياهها شعاع النجوم في الليل حتى يتخيل الناظر أن الأرض قد صـارت سماء محلاة بأنواع الكواكب الزاهرة ومن هذه البرك تخرج فوارات المياه مرتفعة في الجـو كأنها تريد أن ترد للسحاب نعمه ولكن الخجل يعطفها فتميل رأسها متجهة نحو الأرض وفـي

وسط المجلس قد انتشرت الشموع المضيئة ترسل أشعتها إليه فتزيده رونقا وبهاء(٣١)، ونود الاشارة إلى أن البيت الثاني فيها مأخوذ من قول البحتري في وصف بركة المتوكل:

إِذَا النُّجومُ تَراءَتْ في جَوانِبِها لَيْلاً حَسِبْتَ سَمَاء رَكِبَتْ فيْها(٣٢)

والسَّريّ الرَّفَّاء وفيٌّ مع أصدقائه إذ رسم صورة جميلة في وصف بركة أخرى في دار صديقه فأشار إلى الرياض والبساتين التي تحيط بالبركة وأشار إلى التماثيل الموجودة فوق سطح البركة وهي مصنوعة بأيدي البشر التي تعد عاجزة أمام صنعة الخالق عز وجل، وذكر أن الرياح إذا مرت بالبركة جعلت مياهها في حركة مستمرة حتى أنها تبدو في سرعتها وتدفقها خيولا منطلقة من حلبة السباق، كما في قوله:

بنيتَها بِرْكةً تَسُلُّ على خُضْ رَةِ بُسْتانِها سُيُوفَ السَّواقِي

وسُتُورٌ كأَنَّهُنَّ ربيعٌ شَرِقُ النَّورِ مِنْ حَيَاً رَقْرَاقِ

صَنَعتْ فوقَها التَّماثِيلَ أيْدٍ عاجزاتٌ عَنْ صَنْعَةِ الخَلاَّقِ

مِنْ وُجوهٍ مِثلِ البُدورِ صباحٍ وقدودٍ مِثْلِ الغُصُونِ رِشَاقِ(٣٣)

ومما يزين البرك ويزيدها رونقا وجمالا ما كان في وسطها من (النافورات) أو الفوارات فقد رسم الشاعر صورة فنية جميلة لنافورة ماء في قصر الأمير (أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة) إذ إن مياه هذه النافورة ترتفع إلى السماء حتى أنَّها لتعانق (العَيُّوق) النجم الأحمر المضيء، فلا تثنها عن ذاك الريح الشمالية المعاكسة، كما في قوله:

وسَهْمٍ فَوَّارةٍ ما ارتدَّ رائِدُهُ حتَّى أصابَ مِنَ العَيُّوق ما طَلَبا

أوفى فَلَمْ تُثْنِهِ حَرْبُ الشِّمالِ وقَدْ لاقَتْه فاعتركا في الجَوِّ واحْتَرَبا

كَأنَّ بِركَتَه دِرْعٌ مضاعَفَةٌ تُقِلُّ رُمْحَ لُجَيْنٍ منه مُنْتَصِبَا(٣٤)

ومما يتصل بوصف البرك والنافورات وما يمت إلى الماء بصلة وصف معالم الحضارة العمرانية الاخرى، إذ راح الشاعر يسجل لنا وصفا دقيقا رائعا للدواليب والنواعير التي كانت من ملحقات القصور والبرك. وقد وردت على شكل أبيات متناثرة خلال القصائد الطويلة، فقد وصفها بأنها تشبه (الكيزان) بالأنجم التي تدور في فلك دائري فقد كانت أنجم مشرقة مغربة من حوله، وإنما صور موج الماء كالأراقم في حركتها، وشبه صريره المستمر بأطفال سود

من الزنج تبكي بصوت غير مفهوم لأجل الرضاع، فضلا عن تزيين الابيات بألوان البديع من طباق الإيجاب بين لفظتي (شوارق وغوارب) في البيت الاخير، إذ يقول:

الماءُ يَلعبُ كالأراقِمِ مَوْجُهُ والسفن بالأذْنَاب فيهِ عَقَارِبُ

والصوتُ مِنْ دُولابِ كِّل متوج أطفالُ زنج للرضاع نوادبُ

فانظر إليه كأنه وكأنما كيزانه والمزن فيه سواكبُ

فَلَكٌ يدورُ بأنجم جعلت له كالعقد فهي شوارق وغوارب(٣٥)

ويستمر الشاعر في رسم الصورة إذ يذكر أبياتا من قصيدة أخرى يضفي فيها على الدولاب عنصر التشخيص وبث الحياة في الجوامد فيصور الدولاب بصوته كالإنسان يحن ويشتاق ويصل حنينه بعبرة مسفوحة، كأنه مغرم مشتاق كما في قوله:

وصلَ الحَنينُ بِعَبرةٍ مَسْفوحةٍ حتَّى حسبناه مشوقا مكمدا

مسترفِدٍ أمواجَ دجلةَ رافدٍ وجهَ الثّرى أكرمْ بِهِ مسترفِدا(٣٦)

ومن الجدير بالذكر أن السَّريّ الرَّفَّاء كان يضفي على شعره ألواناً من الجمال فقد جانس بين لفظتي (مسترفدا ومسترفدا) فقد ورد الجناس تاما.

ويرى الشاعر أن هذا الدولاب يختلف عن الإنسان لأنه لا ينام ليله، ولا يستطيع أن يتحرك قيد أنملة عن موضعه، فهو يقول:

فباتَ يسري ليله لَمْ ينم ولم يجاوز سيره قيد قدم(٣٧)

ونلقاه مرة أخرى يصور صوت الدواليب بأنه مختلف من وصف إلى آخر، فنراه يصوره كالعود الذي يسمع له صرير ويكون مرة أخرى كصوت المغنية التي تردد لحنها على شخص يزمر لها، كما في قوله:

ونَعَرتْ بالماءِ ناعورةٌ حنينها كالبربط النَّاعر

وتَارَةً تَحْسَبها قَينَةً تردِّدُ اللَّحنَ على زَامِرِ

كأنّما كيزانها أنجمٌ دائرةٌ في فلك دائرِ(٣٨)

وقد أولع الشاعر بصور البديع من الجناس غير التام على الاكثر فلم يرد الجناس التام في شعره إلا قليلا. فقد جانس الشاعر بين (نعرت وناعورة) و(دائرة ودائر)

وللسري الرفاء أوصاف بديعة في وصف الدولاب أحسنها ما قاله:

كـــأنَّ دولابها إذْ حـــنَّ مغـتـــربٌ ... ناءٍ يَحنُّ إلى أوطـــانهِ طَـــــــرَبَا

بـــاكٍ إذا عـــقَّ زهـــرَ الـــرَّوضِ والـــدُه ... مِنَ الغَمـــامِ غَـــــدا فِيـــهِ أبـــاً حَـــدِبَا

مُشَـــمِّرٌ في مَـــسيـــرٍ ليـــسَ يُبْعِـــدُه ... عـــنِ المحل ولا يُـــهـــدِي لـــهُ تَعَبَـــا

مَـــا زالَ يَطْلُـــبُ رِفـــدَ البَحـــرِ مُجْتَهِـــداً ... للبرِّ حتى ارتـــدى النُّـــوارَ والعُـــشْبا(٣٩)

أتى الشاعر بالتشبيه المعنوي العاطفي ليدل على تأثيره في روحه إذ صورت له مخيلته إن الدولاب رجل مغترب بعيد عن أوطانه فهاجت أشجانه حنينا وطربا إليها وما الاصوات التـــي تسمع منه في اثناء دورانه إلا أنات وتأوهات تدل على كثرة أحزانه ولا يكتفي الشاعر بهـــذا التشبيه بل تخيل منظرا آخر يتصور أن الدولاب شخص شاهد زهر الروض ذابلا لعدم سقوط المطر فبكى شجوا عليه وصار له أبا حدبا عوضا عن الغمام فشمر ساعيا يطلب رفد البحـــر للبر حتى ألبسه ثوبا من السندس مطرزا بالازهار.

فهذه التشبيهات البديعة تدل على سعة خيال الشاعر وملكته التصويرية السامية التي تلتقط الرسوم وتنسيقها بشكل جميل يفتن القارئ ويملك أحاسيسه ومشاعره(٤٠).

وفي كل تشبيهاته نراه يجاري من سبقه من الأقدمين حتى قال عنه بعض المعاصـــرين: (هو زخرف حسّي لم يشفع بثقافة عميقة ولا فلسفة)(٤١).

ومن الجدير بالذِّكر ((أنَّ الشَّاعر قد تطبَّع بطباع أفراد الشُّعراء العصريين وجـــرى فـــي طرق المفلقين المبدعين وكسا المعاني البديعة الخفية معارض الألفاظ الرَّشيقة الجليَّة))(٤٢).

ـ القباب:

ويستمر الشاعر في عرض الصور مازجا بين التحليل الادبي والتزيين بالـــصور الفنيـــة فيذكر من مكملات القصر وجود القباب البيض في أعلاه إذ بدت مبتسمة ضاحكة تحيط بهـــا الخضرة والازهار من جميع جهاتها، فقد أضفى الشاعر صفة التشخيص وبث الحياة في هـــذا الصرح الجامد بحيث بدا ضاحكا ومبتسما، كما اضاف إليها نمط التشبيه فهي كالكـــافور فـــي بنيانها وهي مضيئة في الظلام حتى إن العين لتكل من إدامة النظر إليها، إذ يقول:

وتـــبـــتســـمُ القِبـــابُ البـــيـــضُ مِنهـــا ... على خـــضـــراءَ مُحْمَـــرٌّ جَنـــاها

وكافـــــــــوريةُ البـــنـــــيانِ تُثنـــــي ... علـــى مَـــنْ خَطَّهـــا أو مَـــن بَنَاهـــا

تُـــضيءُ إذا الـــدُّجا اشـــتملتْ عليهـــا ... فـــتـــحـــسبُها مُـــــــوَلَّعةً دُجَاهـــا

بعثـــــتُ الطـــــرْفَ مُـــشْتاقـــا إلَيهـــا ... فَـــكادَ يـــردُّهُ عنْهـــا سَـــنَاها(٤٣)

المحور الثاني
وصف الحراقات (السفن والعربات النهرية)

مظهر آخر من ملامح الحضارة العمرانية في بيئة الشاعر إذ كانت عبارة عن سفن تتخذ للتنزه في النهر وتختلف عن السفن الاعتيادية في كونها ليست مجرد ألواح ومسامير وإنما كانت هذه السفن تتخذ أشكالا معينة فإما ان تصنع على هيئة الأسد وإما على هيئة العقاب وإما على هيئة الدولفين. وقد أُعجِب بها الشعراء بوصفها مظهرا عمرانيا ومنهم السَّريّ الرَّفَّاء إذ وصفها بأنها كبيرة يسافر عليها إلى ممدوحه، إذ صورها كالناقة تحدوها الرياح الشمالية، ويستمر بها السير السريع فيقول:

إليكَ أَطرْنا منْ دِيارِ رَبيعَةٍ ... نَعائِمَ في أرضِ العِراقِ وُقُوعُها

رَكائِبُ تَحدُوها الشَّمالُ كأَنَّها ... قِلاعٌ إِذا أَوفَتْ عَلَيْها قُلُوعُها

تَمَادَى بِها السَّيْرُ الحَثيثُ فلمْ تَجُلْ ... لِبُعْدِ المَدَى أغراضُها وَنُسوعُهَا

تَمُدُّ على الأمواجِ بَاعاً كأَنَّهُ ... يُعانِقُها في مَدِّهِ أو يَبُوعُها(٤٤)

والسفينة هذه تسحب ذيلها ومؤخرتها في المسير كأنها تختال اختيالا وقد صور سرعتها كالسحاب، تشق الماء كالحية السوداء التي تترك في الرمل اثرا عند مرورها عليه، ولكنها تختلف عن المطايا التي ترفع رؤوسها كي تسري ليلا فهي ترفع أذنابها ومؤخراتها فقد أجاد الشاعر في رسم هذه الصور التشبيهية كما في قوله:

وَدَعتْنا إلى العِراقِ هَنَاتٌ ... فَركِبنا للسَّيْر دُهْمَ الرِّكابِ

كُلُّ زِنْجِيَّةٍ كأَنَّ سَوادَ الليلِ ... أَهدى لها سَوادَ الإهابِ

وتَشُقُّ العَبابَ كالحَيَّةِ السَّو ... داءِ أَبقتْ في الرَّملِ إِثْرَ انْسيابِ

فهيَ كالخُرْدِ الأَوانِسِ يخْلِطْ ... نَ شِماسَ الصِّبا بأُنْسِ التَّصابي(٤٥)

ويسترسل الشاعر في رسم الصور الجميلة للسفن فيذكر انها مقيَّدة في البحر كالعذارى ولولا أسرها في الماء لخلعت عذاريها يسير عليها الغلمان والقيان فلا يقطعون غير شبر، وهي في سيرها على الماء تئن من غير مرض وتحصب القطرات جانبيها كأنها قطع الدر وهذا الوصف من جمالية التشخيص والتجسيد الذي برع فيه الشاعر، فقد أضاف إلى ذلك الوصف بأن جعل من السفينة مرتعا لشرابه، وموطنا لنشوئه(٤٦)، يقول:

أَمَا تَرَى حُسْنَ بَناتِ البَرِّ ... مُقَيَّداتٍ في عُبَابِ البَحْرِ

مأْسُورةً لوْلا وَثَاقُ الأسْرِ ... صَدَرْنَ عنْهُ خَالِعاتِ العُذْرِ

....

فَيومُنـــــا يَـــــومُ صَــــفاً وقَطْــــرِ فَهَاتِهـــا قَبْـــــلَ نَـــــفَـــــادِ العُمْـــرِ

وقَبْـــلَ مَطْـــــوِيَّ بَعيــــدِ النَّـــشْرِ دَاجٍ علــــى سَـــــاكِنِهِ مُغْبَـــــــرِّ(٤٧)

ومما يتصل بالماء أيضا (العربات) فقد صوّر الشاعر العربات على سطح الماء وقـد طليـت بالقار فقد شبهها بالخيل تتسابق في حركتها فوق الماء فتثير حبابا أبيض كأنه نقع كـافور، إذ يقول:

كأَنَّ دُهْماً تبــارَتْ فــي الــسِّباقِ بِــه دُهْمُ الجِيــادِ تَبَــارَتْ فــي المَــضامِيرِ

إِذا جَرَيْــنَ على أرْضٍ مُمَــسَّـــكَــةٍ أَثَـــــرْنَ بالجَــرِي منْها نَقْعَ كَافُورِ

غِناؤُهــا فيــهِ ألحــانُ الــسُّكورِ إذا قَـــلَّ الغِنـــاءُ وَرَنَّـــاتُ النَّـــواعِيرِ

كَأَنَّما الرِّيحُ منْ طِيبِ النَّسيــــمِ بــهِ تَسْري إليْنا بِريَّا الــوَرْدِ مِــنْ جُــورِ(٤٨)

ويستمر الشاعر في عرض صور التشبيه التمثيلي إذ صوَّر العربة عندما تتراءى لــه كزنجية في لونها وأخلاقها، إذ يقول:

وَزِنْجِيَّــــةٍ عُرِفَـــتْ بـــــالإِباقِ فَلَيْــسَ لَهــا راحَــةٌ مِــنْ وِثَــاقِ

إذا اضْـــطَرَبَ المَــاءُ مـــنْ حَولِهـــا رَأَيْــتَ الجِبــالَ بــه فــي تَلاقِــي

فأبناؤُهـــا المُـــرْدُ شِـــيْبُ الـــرؤُوسِ وأبناؤُها السُّودُ بِـيضُ التَّراقِــي(٤٩)

ولعل التشبيه من الصناعة التي جاءت مبثوثة في أوصافه لأنه كما ذكــر عنــه بعــض الأدباء بأنه (كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف طالب بها ولو لــم يكــن لهــا رواء ولا منظر)(٥٠).

المحور الثالث
وصف الأديرة

وصف شعراء بني العباس عددا من الأديرة ولكن كل شاعر منهم وصفها من ناحية معينة فهناك من وصفها من حيث بنائها وموقعها وكثيرا ما يرتبط وصفها بذكر ما فيها من رياض تسفر عن مكنوناتها بالورد والخضرة والجمال والأنهار والغدران المحيطة بها والنسيم ذي الروائح العطرة في حين نجد أن كثيرا من الشعراء وصفوا هذه الأديرة من ناحية اخرى فذكروا ما يدور فيها من شراب ومقصف ومنادمة. كما وصفها بعضهم من حيث البناء والموقع. كما قال السَّريّ الرَّفَّاء في وصف (دير سعيد) في الموصل وقد يبدو من خلال وصفه أنه كان وصفا بصريا فذهب إلى ما فيه من بناء جميل، فقد اعجب به مما دفعه إلى وصفه بأنه دير جميل حتى إن أرضه لجمالها ولكثرة الزهور المنتشرة هناك كأنها تلبس ثوبا من الورد، وهذه الزهور تكشف عن أغصانها وتجعلها واصفة في هذا الثوب. كذلك أشار إلى الريح الطيبة التي تمر على الغدران فتحرك مياهها وتجعل فيها أمواجا إذ قال:

يا حُسْنَ دَيْرِ سَعيدٍ إذْ مَرَرْتُ بهِ ... والأَرْضُ بالزَّهْرِ في وَشْيٍ ودِيبَاجِ

فمَا تَرَى غُصُناً إلاَّ وزهرَتُهُ ... تَجْلُوهُ في جُبَّةٍ مِنْها وَدُوَّاجِ

وللنَّسيمِ على الغُدْرانِ رَفْرَفَةٌ ... يَزُورُها فَتَلقَّاه بأَمْواجِ

يا دَيْرُ يا ليتَ دَارِي في فَنائِكَ ذا ... أَولَيْتَ أنَّك لي في دَرْبِ دُرَّاجِ(٥١)

ونظير ذلك ما وصفه الشاعر لـ(دير الشرقي) شمال الموصل إذ أشار إلى الأمطار الغزيرة الساقطة على ذلك الموضع ليلا ونهارا وأشار أيضا إلى الأشجار المنتشرة حوله عندما بَيَّنَ أن هذا الدير قد جمع في ظلاله أشجار العنب كما ذكر أن نسيمه لطيبه وشدة رائحته الزكية يظن من يشمه أن زهور النرجس المنتشرة حول الدير تسقى من ماء الورد وعندما يهب هذا النسيم تتفتح الزهور ويبرد الماء، كما في قوله:

ويا دَيْرَها الشَّرقيَّ لا زالَ رائِحٌ ... يَحُلُّ عُقُودَ المُزْنِ فيكَ ومُغْتَدِي

مَوارِدُ لَهْوٍ صُفِّفَتْ في ظِلالِها ... مَوارِدُ منْ مَاءِ الكُرومِ المُوَرَّدِ

عَليلَةُ أنفاسِ الرِّياحِ كأنَّما ... يُعَلُّ بماءِ الوَرْدِ نَرْجِسُها النَّدِي

يَشُقُّ جُيُوبَ الوَرْدِ في شَجَراتِها ... نَسيمٌ متى يَنْظُرْ إلى الماءِ يَبْرَدِ(٥٢)

إذ كانت هذه الأديرة مقصد الشعراء يستمتعون بمناظرها الخلاّبة ورياضها النضرة وخمورها المعتقة التي يعتقها القساوسة لكي تكون لهم مصدر رزق كبير، ولم تكن الأديرة مقصدا للشعراء وحدهم، بل كانت كذلك مقصدا لكثير من الخلفاء أمثال الرشيد والمأمون ولكل منهما بها اخبار فياضة بالبهجة عامرة بالسرور ولعل أشهر هذه الأديرة (دير الأعلى) بالموصل إذ يطل على دجلة(٥٣) إذ يقول السَّريّ الرَّفَّاء في إحدى قصائده الديارية ولعلها في دير الأعلى:

يا خَليليَّ اطْلُبا وَتْرَكُما ... تَجِداهُ بَيْنَ كأْسٍ وَوَتَرْ

شَاقَنِي مُسْتَشْرَفُ الدَّيْرِ وقدْ ... رَاحَ صَوْبُ المُزْنِ فيهِ وَبَكَرْ

أهَواءٌ رَقَّ في أرْجائِهِ ... أمْ هَوىً رَاقَ فَمَا فيهِ كَدَر؟

وخُدُودٌ سَفَرَتْ عَنْ وَرْدِهَا ... أمْ رَبيعٌ عَنْ جَنَى الوَرْدِ سَفَرْ؟

مَجْلِسٌ يَنْصَرِفُ الشَّرْبُ وَمَا ... طُوِيَتْ عَنْ بُسْطِهِ تِلْكَ الحِبَرْ

وكأَنَّ الشَّمسَ فيهِ نَثَرَتْ ... وَرَقاً مِنْ بَيْنِ أوراقِ الشَّجَرْ

بَيْنَ غُدْرٍ تَقَعُ الطَّيْرُ بها ... فَتَراهُنَّ رِياضَاً في غُدُرْ(٥٤)

الملاحظ على هذه الأبيات أن الشاعر يتشوق إلى هذه الحضارة الرائعة (الدير) ويتغنى بهوائه وغيثه وهواه في رقة بالغة ويمعن في الصناعة اللفظية فيطابق فنيا بين (راح) و(بكر) وبين (راق) وبين (كدر) كما يجانس بين (هواء) وبين (هوى) وبين (رق) وبين (راق) وكلها جناسات غير تامة قد أكسبت النص رقة وجمالا. في حين يذكر الشاعر مجلسه المرح الذي انصرف فيه إلى الشراب ويذكر تشبيهين حين يشبه في البيتين الخامس والسادس، إذ يشبه أنوار الشمس بين الظلال بأوراق بين الأوراق، وحين يشبه الطيور الملونة قد سبحت في الغدران برياض نبتت بين الغدر.

إن براعة الشاعر في عرض الصور البيانية لا تكاد تتجلى هنا إلا في تنسيق هذه الطاقة الابداعية في عرض الصور المتسقة الاسلوب المتجانسة الترتيب. وهذه الابيات جميلة بلا شك غنية بالصور من التشبيهات الطريفة وإن كان الشاعر قد خرج على حدود النحو في كثير من الأحيان لكي يحافظ على نظام القافية المقيَّدة[٥٥].

وخلاصة القول: إن الاديرة أثَّرت في الناحية الأدبية، بما جعل الشعراء يختلفون إليها ويقولون الشعر العذب، وينادمون الرهبان الذين شاركوهم في الأدب والثقافة العامة، والذي يهمنا من الكلام إنما هو أثرها في المجتمع من حيث إنها كانت مقصدا لطلاب الصيد ومحطا

للقوافل والمسافرين(٥٦). فضلا عن ذلك فقد كانت مظهرا بارزا من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية.

فضلا عن كونها مراكز دينية للمسيحية وأنموذجا للعمائر التي قامت في هذا الاقليم (الموصل) قبل أن يفتحه المسلمون(٥٧).

المحور الرابع
(أوصاف أخرى)

ـ وصف الحمَّام:

يحفل ديوان السَّريّ الرَّفَّاء بأنموذج آخر في وصف حال العمران في المجتمع الحضاري في عصره ألا وهو وصف الحمَّام وما فيه من ماء متدفق حار يريح النفوس، وقلما نجد مثل هذا الوصف عند الشعراء الآخرين، إذ أجاد الشاعر وأغرق في تشبيهه، إذ ذكر الحمَّام بأنه منزل محبوب تُثني عليه جوارح كل من يدخله فجدرانه ممتلئة بالينابيع المتدفقة بالماء الساخن، وحيطانه مزركشة بالرسوم والصور التي تمثل الحرب بفرسانها وسيوفها وخيولها كما تمثل وترسم مجالس الشراب من جهة أخرى(٥٨).

ومن خلال قراءة اشعاره في الديوان نقف على تشبيهاته الطريفة، إذ شبه سقف الحمَّام بقحف من البلور، وشبه جدرانه البيض بالفضة على سبيل التشبيه التمثيلي، كما في قوله:

بَيتٌ بَنتهُ حكماءُ الوَرى ... فَهوَ إلى الحكمةِ منسوبُ

مجاورُ النَّارِ ولكنَّهُ ... يجاورُ الرُّوحَ بهِ الطيْبُ

حرّ هوَ الظِّلُّ لأجْسَامِنَا ... والحَرُّ للأجْسامِ تَعذِيبُ

كأنَّه إذ ضَحِكَتْ جُدْرُه ... مِنْ خالِصِ الفِضَّة مَصْبُوبُ

كأنَّ مَا قُبِّبَ مِنْ سَقْفِهِ ... قِحْفٌ مِنَ البَلُّورِ مَكْبُوبُ

وتَلتقي بِالبِيضِ مِنْ فُرسَانِهِ ... فَضَارِبٌ مِنْهُم ومَضْرُوبُ(٥٩)

ولا يغيب عن مخيلتنا ما أضافه الشاعر من عنصر التشخيص والتجسيد خدمة للنص الشعري، ولا سيما في البيت الرابع عندما صور جدرانه ضاحكة تشبه الفضة في جمالها. كما إنه جانس في البيت الأخير بين لفظتي (ضارب ومضروب) وجاءت الألفاظ متناسقة، فهذه الأبيات السابقة التي تصف الصور المرسومة على جدران الحمام والتماثيل المنقوشة عليها، فإذا ما أمعنا النظر إليها لوجدناها غاية في الدقة، وانموذجا فنيا بديعا لا يداني في مضمار

الشعر والأدب فهو كما يقول بعض المعاصرين (لا يقل عن وصف أبي نواس للتصاوير المرسومة على كؤوس الخمر، أو وصف البحتري لإيوان كسرى)(٦٠).

ويسترسل الشاعر في إظهار معالم الحمَّام فيصوره بأنه بيت من العاج، أما أرضه فهي سوداء مزركشة بالخرز الأسود الثمين، كما إنه أجاد في رسم صور الطباق الإيجابي بين لفظتي (داخل وخارج) في البيت الثاني وكذلك بين لفظتي (حر وبرد) إذ قال:

لمَّا رَأينا خِمارَ الكأسِ يَعلَقُنا ... عُجْنَا إلى بيتِ عاجٍ أَرضُهُ سَبَجُ

بيتٌ لَهُ داخِلٌ حَلَّ النَّعيمُ بِهِ ... وخارِجُ فيهِ للقلْبِ الشَّجِيْ فرَجُ

ذو قُبَّةٍ كَسَماءِ والبُدورُ بِهَا ... جاماتُها في أعالي الجوِّ تَنْسَرِجُ

حَرٌّ وبَرْدٌ ومَاءٌ والهواءُ بِهِ ... مُعدَّل قِسْمَةٌ مَا شَابَها عِوَجُ(٦١)

ويستمر الشاعر في وصف كل شيء أثَّر في عواطفه وأحاسيسه ونال إعجابه، فقد استدعى يوما صديقه أبا عثمان إلى حمَّام حيث تطرق إلى وصفها وذكر وسائل الإغراء التي تدفع صديقه إلى تلبية الدعوة، فيصف المكان بالرحابة، ينبع الماء من جدرانه وقد سقف بقطع مستديرة من الزجاج السميك كأنها الأقمار في كبد السماء، وأما الرواد فلا تثريب عليهم، يخلع الحي منهم الثوب حين يخلع ملابسه فيبدو ممشوقا كأنه الحسام وقد فارق الغمد، وهذا الحمام لفرط جماله واقتصاره على أهل الحاضرة فهو يملأ نفوس سكان البادية حقدا وغيرة من أهل الحضر(٦٢). وقد حقق الطباق الإيجابي بين لفظتي (البادون والحضار) منحى جماليا في النص، كما في قوله:

أَسَعيدُ هل لكَ في زِيارةِ منزلٍ ... تَثنِي عليهِ جَوارحُ الزُّوَّارِ؟

رَحْبٌ تُلاقي الجُدرَ فيهِ يَنابِعاً ... وتَرى السَّمَاءَ كثيرةَ الأقمارِ

يَنضُو الحييُّ الوجهِ ماءُ حيائِهِ ... فيهِ فَيَخطِرُ كالحُسامِ العَارِي

مُتقلِّباً في نعمةٍ فَضفَاضَةٍ ... جُعِلَتْ لهُ عِوَضاً مِنَ الأَطمارِ

مَا عاينَ البَادُونَ يوماً فَضْلَهَا ... إلاّ وأحفضهم على الحضَّارِ

ولَرُبَّمَا استَمْتَعْتَ فيهِ بِنُزْهَةٍ ... لَوْلاهُ لَمْ تبرُزْ مِنَ الأسْتَارِ(٦٣)

ثم يعرض في أبيات أخرى من القصيدة نفسها الصور المرسومة على الجدران وهي صورة لجيشين متقابلين متحاربين وصورة الخيول تخطر بين القنا العالية والسيوف الممشوقة بغير بوارق ودون رهج أو غبار، وفي صورة أخرى من جانب الحمام جماعة من الندمان

وهم جالسون على موائد الشراب يناول بعضهم بعضا كؤوسا مترعة من العقار وليست كل هذه الأمور من الحقيقة في شيء لأنها رسوم على الحائط تزين المكان وتسر الحاضرين بمناظرها وألوانها(٦٤). وهذه الصورة تذكرنا بوصف معركة أنطاكية على جدران إيوان كسرى الذي تمثلها البحتري بسينيته المشهورة، إذ قال السَّريّ الرَّفَّاء:

وتَرى عَلَى جُدْرَانِهِ بُهَمَ الوَغى ... يَخْطُرْنَ مَا بَيْنَ القَنَا الخطَّارِ

سُلَّتْ سُيُوفُهُمْ بِغَيرِ بَوَارِقٍ ... وَجَرَتْ جِيَادُهُم بِغَيرِ غُبَارِ

زَحفَانِ لَمْ يَحْظَ العَزِيزُ بِرُتْبَةٍ ... مِنْهُمْ ولا آبَ الذَّليلُ بِعَارِ

هذا يُنَاوِلهُ النَّديمُ تَحِيَّةً ... حَسُنَتْ وذا يُحْبَى بِكَأسٍ عُقَارِ

عيشٌ لَهُمْ بَعُدَتْ حقيقتُهُ وإنْ ... قَرُبَتْ مَحَاسِنُهُ مِنَ الأبْصَارِ(٦٥)

وعلى العموم فإن الشاعر أجاد في هذه الأوصاف إجادة عظيمة وبلغ شأوا بعيدا، ومن الجدير بالذكر أن الشاعر لم يكن مبتكرا عندما أجاد في وصف هذه الرسوم والصور على الجدران، فقد سبقه في ذلك أبو نواس والبحتري والمتنبي كبار شعراء العصر العباسي.

ـ القلاع:

لقد أجاد الشاعر في وصف القلاع التي بناها الأمير سيف الدولة الحمداني وكان يصفها دائما بكونها عالية مرتفعة في الجو ومشرفة على النجوم كما إنها لامعة مرتفعة وجميلة فعندما وصف إحدى القلاع ذكر أن هذه القلعة أشبه بالجبال وهي كالقائد الذي يحيط به جنوده، كذلك شبه شرفاتها العالية بالنساء الجالسات في ملاحفهنْ وذكر أيضا أن سيف الدولة عندما أحاط هذه القلعة بالرماح اللامعة أصبحت الرماح كأنها قلائد حولها وأشار إلى أن سيف الدولة قد صنع قلعة تشبهها ولكنها من حديد فعندما رأت القلعة الحقيقية صورة القلعة الثانية المصنوعة من حديد أوشكت أن تميل وتتحرك وذلك لشدة اندهاشها وتعجبها إذ يقول:

ومشرفةٍ لِقاصِدِهَا صَبُوبِ ... على قِمَمِ السَّحائِبِ أو صعودُ

تحفُّ بِهَا شَواهِقٌ شامخاتٌ ... كما حَفَّتْ بسيِّدِها الجُنودُ

كأنَّ فوارعَ الشُّرفاتِ مِنْهَا ... نِساءٌ في مَلاحِفِها قُعُودُ

أحَطْتَ بهَا الأَسِنَّةَ لامعاتٍ ... فَهُنَّ على تَرائِبِهَا عُقُودُ

رَأتْ أَمثـــــالَ صُـــورَتها حديـــداً فكـــادتْ وهـــيَ راسِـــيةٌ تَميـــدُ(٦٦)

ونظير هذا الوصف ما قاله الشاعر في وصف قلعة أخرى بناها سيف الدولة فأشار إلى مدى ارتفاعها وعلوها في الجو حتى لو كلَّمت الريح لتصور من رأى ذلـك المنظـر أنهمـا شخصان الأول محب والآخر لائم. فقال:

وخافقةٍ في الجَوِّ إنْ نَاجَتِ الصَّبَا حَسِبتَهُمَـا فيـهِ مُحِبًّا وعَـاذِلا(٦٧)

ويسترسل الشاعر في أوصافه للقلاع فنراه في مكان آخر من الديوان وشبهها بـالهوادج في حسنها وجمالها كما إنها عالية ومرتفعة حتى إنها تتخذ من الجبال مطية لهـا، فـذكر أن السماء إذا انعكس خيالها على هذه القلاع تشرف على النجوم التي ترى على جوانبهـا يمينـا ويسارا. كما إن هذه القلاع لشدة لمعانها من يراها يحسب ان سيلا من الذهب قد صب عليها، ولجمال هذه القلاع واختلاف الواحدة منها عن الاخرى فهي تبدو للعين كالغيد الحسان اللاتـي خرجن متبرجات إذ قال:

وقلاعٌ مِثـلَ الهـوادج حُـسْـنـاً جَـــاعِلاتٌ مَطيَّهـــا الأجبـــالا

فـإذا اختـــالتْ الـسَّـماءُ عليهـا خِلْتَهـــا كِلَّـــةً لَهـــا وحِـــجَالا

مُـشْرِفاتٌ علـى النُّجـومِ تَـراهُنَّ يميـــناً مِـــنْ دُونِهـــا وشـــمالا

لامعـاتٌ كأنَّمـا الـسَّيلُ أجـرى ذهـــباً ذائـــباً عليهـــا فَـسَـالا

وكأنَّ العيـــونَ تَلْحـظُ منـهـــنَّ عـــذارى تـبرَّجَـت أَشـكـــالا(٦٨)

ـ الجسور:

وصف عدد من الشعراء العباسيين الجسور وكانت اغلبها من الجسور المقامة على نهـر دجلة فعندما وصفها الشعراء لا بد من الإشارة إلى لطافة الجو واعتداله ورقة الهـواء فوقهـا للدلالة على جمال موقعها ولهذا نجد أن مثل هذه الأمور تتكرر لدى أكثر الشعراء. وهذا مـا ذكره السَّريّ الرَّفَّاء عندما صوَّر منظرا للجسر فقد اعطاه صورة تختلف عن الصور الاخرى، إذ شبه هذا الجسر الموجود فوق الماء والسفن التي تسير تحته مع الظلال التي يتركها بالثوب المطرز الذي وضحت خطوطه السوداء، ثم ذكر أن هذا الجسر عند حلول الظلام يشبه إلـى درجة كبيرة الخيول السوداء المجتمعة حول ماء عذب فقال:

كأنَّما الجسـرُ فُوَيـقَ المـاءِ وسـفـنهُ جانحةُ الأفيـاءِ

شبه الطِّرازِ لاحَ في الرِّداءِ كأنَّه في خلعِ الظــلمــاءِ

دُهُمٌ مِنَ الخَيلِ على رَوَاءِ(٦٩)

ومن الجدير بالذكر أن هذه المقطوعة هي اليتيمة في ديوان الشاعر. إذ عرض لوصف الجسر بقطعة صغيرة فقط.

ـ خزانة كتبه المنزلية:

وصف الشاعر خزانة كتبه، ومن الجدير بالذكر أن ابن النديم قد أغفل ذكر هذه الخزانة ولسبب مجهول لا نعلمه(٧٠)، وقد ساعد عمل السَّريّ الرَّفَّاء في النساخة على تكوين خزانة كتب خاصة وصفها في شعره فضلا عن عمله في خزانة الأمير ناصر الدولة الحمداني في الموصل(٧١) ونطالع وصف السري لخزانة كتبه من خلال ما جادت به قريحته الشعرية الجميلة إذ قال:

عِندي إذا مَا الـرَّوضُ أصبحَ ذَابلاً تُحَفٌ أغضُّ مـنَ الرِّياضِ شمائلا

خرسٌ تحدِّثُ آخراً عن أوَّلٍ بعجائبٍ سَلُفَت ولسنَ أوائلا

سُقيت بأطراف اليراعِ ظهورُها وبُطونها طُلاًّ أحمّ ووابلا

تَلقاكَ في حُمرِ الثِّيابِ وسُودِها فتخالهُنَّ عَرائساً وثَواكلا

وترك ما قد فَاتَ مِن دَهرٍ مَضى حتى تَراهُ بِعينِ فِكرِكَ ماثِلا

وإذا خلوتَ بِهنَّ ضَمآن الحَشا مَنَحَتْكَ مِنْ صَوبِ العُقولِ مناهلا(٧٢)

إن هذه القصيدة دلتنا على أنه كان يمتلك كتبا يعتز بها، ويصف أثرها الفكري والعلمي ويشبهها بأزهار الرياض نعم هذه خزانة كتب (في لغة يومنا : مكتبة)، مكتبة منزلية خاصة. فالسري قال لصديقه أبي بكر محمد بن علي المراغي ولنا نحن أصدقاءَهُ بعد ألف سنة: إن ربيع الموصل إذا ما مضى وترك أزهار روضة ذابلة يضوع من أحد جوانب داراته الجميلة ربيع دائم يضم كائنات خرساء لكنها أفصح المخلوقات هي الكتب التي تحترز بين دفاتها على وابل العلوم وتتدثر بالجلود الحمر والسود اللونين اللذين ما يزالان أكثر الألوان شيوعا في أغلفة الكتب هذه التي تنقل للقارئ علوم القدماء وتشحن العقول لكي تثبت علوم الحاضر من أجل مستقبل أكثر إشراقا وتقدما(٧٣). ولعله اختار لفضل الغرف في منزله بالموصل لتكون

خزانة كتبه بعد اتصاله بالأمراء الحمدانيين وتحسن حالته المادية(٧٤). وإذا كانت أبياته الشعرية قد دلتنا على امتلاك السَّريّ الرَّفَّاء خزانة كتب فإننا نعدم أبياتا أو وثيقة تصف لنا مصير هذه الخزانة الموصلية القديمة بعد أن اضطر السَّريّ الرَّفَّاء إلى مغادرة مدينته التي بقـــي يتـــشوق إليها. وقد ضمت هذه الخزانة مختلف مصنفات المعرفة الأدبية(٧٥).

هوامش البحث

[١] ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي، ٥/ ١٠٠.
[٢] ينظر: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ٣٠.
[٣] ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤/ ٢٣٥.
[٤] ينظر: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ٥٧.
[٥] ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٦٣.
[٦] ينظر: خطط الشام ١٠٧/٤، وينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ١٣٧.
[٧] ديوان السَّريّ الرَّفَّاء، ١/ ٢٦١.
[٨] تاريخ الموصل، ٢/ ٦٠.
[٩] ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١/ ٢٩٢.
[١٠] ديوانه، ٤٧٣/٢ -٤٧٤.
[١١] ديوانه، ٤٧٥/٢.
[١٢] يتيمة الدهر،١٤٤/٢.
[١٣] ديوانه، ٢/ ٧٦٤.
[١٤] ديوانه، ٧٦٥/٢.
[١٥] أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياضي. كان كاتبا وأديبا، ناظما وناثرا وكان سيف الدولة يحبه ولا يفضل أحدا عليه في السفارة لحسن عبارته وقوة بيانه في الكتابة. (يتيمة الدهر ١١٧/١).
[١٦] ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٨٨.
[١٧] ديوانه، ٦٦١/٢ -٦٦٢.
[١٨] ينظر: السَّريّ الرَّفَّاء - حياته وشعره، ٢١٣.

[١٩] ديوانه، ١/ ٣٢٤ - ٣٢٧.

[٢٠] ديوانه، ٢/ ٤٠ -٤١.

[٢١] القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح(معجم البلدان ٣١٢/٤).

[٢٢] بدائع البداية، ٣٥٢ -٣٥٣.

[٢٣] ديوانه، ٢/ ٨٤.

[٢٤] ينظر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، ١/ ٣٤٥.

[٢٥] ديوانه، ١/ ٣٢٧ -٣٢٨.

[٢٦] ينظر: السَّريّ الرَّفَّاء - حياته وشعره، ٢١١.

[٢٧] ديوانه، ١/ ٣٦٢ -٣٦٣.

[٢٨] معجم الأدباء، ١٣٨/٩.

[٢٩] ديوانه، ٢٦٥/١.

[٣٠] ينظر: المنتخب من أدب العرب، ٣١/١.

[٣١] ينظر: السَّريّ الرَّفَّاء – حياته وشعره، ٨٧ -٨٨.

[٣٢] ديوان البحتري، ٢٤١٦/٤.

[٣٣] ديوانه، ٢/ ٤٤٤.

[٣٤] ديوانه، ١/ ٣٦٣.

[٣٥] ديوانه، ٤٣٨ -٤٣٩. وينظر: السَّريّ الرَّفَّاء – حياته وشعره، ١٤٩.

[٣٦] ديوانه، ٢/ ١٢٩.

[٣٧] ينظر: يتيمة الدهر، ٢/ ١٧٩.

[٣٨] ديوانه، ٢/ ٢٧٨.

[٣٩] ديوانه، ١/ ٣٦٢.

[٤٠] ينظر: السَّريّ الرَّفَّاء – حياته وشعره، ٧٥ -٧٦.

[٤١] الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ٢٧٤.

[٤٢] تتمة اليتيمة، ٨١/٢.

[٤٣] ديوانه، ٢/ ٧٦٥ -٧٦٦.

[٤٤] الديوان، ٣٧٣/٢.

[٤٥] ديوانه، ١/ ٣٥٦.

[٤٦] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٣٩٠.

[٤٧] ديوانه، ٢/ ٢٥٧.

[٤٨] ديوانه، ٢/ ١٨١ -١٨٢.

[٤٩] ديوانه، ٢/ ٤٨٨.

[٥٠] الفهرست، ٢٤٧. وينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ١/ ٢٠١.

[٥١] ديوانه، ٢/ ٢٤.

[٥٢] ديوانه، ٢/ ١٣٨.

[٥٣] ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٣٤٤-٣٤٥.
[٥٤] ديوانه، ٢/ ٢٣٥-٢٣٦.
[٥٥] ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٣٤٥.
[٥٦] ينظر: سيف الدولة الحمداني، ١٧٢.
[٥٧] ينظر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، ٣٥٤/١.
[٥٨] ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٣٨٨.
[٥٩] ديوانه، ١/ ٣٣٠-٣٣١.
[٦٠] السَّريّ الرَّفَّاء – حياته وشعره، ٧٠.
[٦١] ديوانه، ٢/ ٣٠.
[٦٢] السَّريّ الرَّفَّاء – حياته وشعره، ٧١.
[٦٣] ديوانه، ٢/ ١٩٨.
[٦٤] ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ٣١٨.
[٦٥] ديوانه، ٢/ ١٩٨-١٩٩.
[٦٦] ديوانه، ٢/ ١١٢-١١٣.
[٦٧] ديوانه، ٢/ ٥٩٤.
[٦٨] ديوانه، ٢/ ٥٩٩.
[٦٩] ديوانه، ١/ ٢٩٧.
[٧٠] ينظر: الفهرست، ٢٤١.
[٧١] ينظر: موسوعة أعلام الموصل، مج١، ٢٧٦.
[٧٢] ديوانه، ٢/ ٥٩٠.
[٧٣] رحلة ابن النديم إلى الموصل، الدباغ، ٣٧٨.
[٧٤] ينظر: خزائن كتب الموصل عبر العصور، ١٤.
[٧٥] ينظر: موسوعة أعلام الموصل، ١/ ٢٧٦. وينظر: وصف لخزائن كتب أدباء الموصل في القرن الرابع الهجري، ٣٩ــ٤٠.

المصادر والمراجع

- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٦١م.
- بدائع البداية، علي بن ظافر الأزدي (ت٦١٣هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- تاريخ الموصل، القس سليمان الصائغ، ج٢، د.ت.

- تتمة اليتيمة، الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، مطبعة فردين، طهران، ١٣٥٣هـ.
- خزائن كتب الموصل عبر العصور، بسَّام إدريس الجلبي، د.ت.
ـ خطط الشام، محمد كرد علي، ط دمشق، سنة ١٩٢٥م.
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.
- ديوان السَّريّ الرَّفَّاء، تحقيق: د. حبيب حسين الحسني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م.
- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، ط القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٢هـ.
- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، د. فيصل السامر، ج١، ط١، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧٠م.
- رحلة ابن النديم إلى الموصل، الدباغ، د.ت.
- السَّريّ الرَّفَّاء (حياته وشعره)، يوسف أمين قصير، مطبعة الشباب، بغداد، ١٩٥٦م.
ـ سيف الدولة الحمداني، د. مصطفى الشعكة، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٩٥٩م.
ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٨، د.ت.
ـ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د. مصطفى الشعكة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٧٨هـ ـ
١٩٥٨م.
ـ الفهرست، ابن النديم(ت٣٨٥هـ)، (أبو الفرج بن إسحاق)، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان،
د.ت.
ـ كتاب المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ)، ط الكشاف، بيروت، د.ت.
ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ط٣، منقحة ومصححة وفيها زيادات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر ـ بيروت، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ت٣٤٦هـ)، ط باريس، ١٨٧٢م.
ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، تحقيق: يونس أحمد السامرائي، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م.
ـ المنتخب من أدب العرب، أحمد الاسكندري ومجموعة أدباء، ج١، ط الأميرية القاهرة، ١٩٥١م.
ـ موسوعة أعلام الموصل، بسام إدريس الجلبي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية

الحدباء الجامعة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، مراجعة الأستاذ هاشم يحيى الملاح، الناشر: وحدة الحدباء للطباعة والنشر.

ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري(ت٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ت.

الدوريات

ـ وصف لخزائن كتب أدباء الموصل في القرن الرابع الهجري، د. محمد نزار الدباغ، بحث منشور في المؤتمر العلمي السنوي الرابع (الدولي الأول) تحت عنوان الجهود اللغوية والأدبية في الموصل عبر العصور، كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.